مسؤوليات علماء الدين في المجتمع

الحضور: علماء الدين في بجنورد

المكان: مدينة بجنورد مركز محافظة خراسان الشمالية

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي محافظة خراسان الشمالية

الزمان: 1391/7/19ش. 1433/11/24هـ. 2012/10/10م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين، سيما بقية الله في الأرضين.

من الاجتماعات المحبّبة والرائقة بالنسبة لي ــ في زياراتي ــ اجتماعي برجال الدين والعلماء والفضلاء، وطلبة العلوم الدينية الشباب. وأسباب هذا الشعور جليّة عندي، وهي ليست بالسبب الواحد أو السببين. من يعرف فلسفة وجود علماء الدين، ومن عايش طلبة العلوم الدينية الشباب في الحوزات العلمية، يعرف جيداً لماذا يستمدّ شخص مثلي، وهو في السبعينات من عمره، المعنويات من طلبة العلوم الدينية الذين بدأوا دربهم للتوّ، ويشعر بالحيوية والنشاط للقاء بهم. ولحسن الحظ فقد كان هناك بعد الثورة طالبات علوم دينية. الطالبات الجامعيات، والطلبة الجامعيون، وطلبة الجامعات الخاصة بالعلوم الدينية، وطلبة الحوزات هم الذين يعدّون أنفسهم للتواجد في النقاط الحساسة من الجبهات والخطوط الأمامية الدينية؛ هؤلاء هم علماء الدين.

اليوم أيضاً سوف نذكر لكم بعض النقاط في حدود ما تسمح به حالنا وقدراتنا، وكلنا أمل في أن تترك هذه الكلمات ــ إن شاء الله ــ تأثيراتها في قلوبكم الطاهرة المنوّرة، ويتحقق التحوّل

والتحرّك والكمال الذي يستلزمه هذا الدرب بهممكم وإراداتكم، وإرادة المسؤولين المحترمين في الحوزات العلمية.

نقول أولاً: إن منطقة بجنورد هذه، أي المنطقة التي تسمى اليوم «خراسان الشمالية»، من فاروج إلى قرب حدود گلستان وغابات گلستان – والشرق والغرب والشمال والجنوب معروفة – منطقة زاخرة بالمواهب. لا نريد أن نبالغ في كثرة العلماء الذين أنجبتهم هذه المنطقة ونقارنها ببعض المدن التي أنجبت هي الأخرى الكثير من العلماء، لكن نروم أن نقول: إن الكثير من العلماء الذين عرفناهم وهم ينتسبون لهذه المنطقة، من المبرّزين في مواهبهم.

وأحدهم ممن التقيته وشاركت في دروسه المرحوم آقا ميرزا حسن البجنوردي. حينما جاء سنة 1340 أو 1341هـ ش ، من النجف إلى إيران لزيارة مشهد وقم، أصرّ الإمام الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه) بأن يبقى في قم. أي إن شخصيته العلمية، كانت بحيث يصرّ عليه الإمام الخميني الجليل، بما عرف عنه من تصعّب في العلم والأمور العلمية ومزج العلم بالمعنويات والأخلاق، أصرّ عليه بالبقاء في مدينة قم. ووافق الرجل وتقرّر أن يبدأ دروسه، ولكن للأسف في نفس اليوم الذي تقرّر أن يحضر في المدرسة الفيضية ويبدأ دروسه أصيب بسكتة ومرض، لذلك اضطر أن لا يبقى في قم وأن يعود إلى النجف. وقد أدركتُ بعض جلسات دروسه في النجف. كان المرحوم آقا ميرزا حسن البجنوردي يدرّس في مسجد الطوسي، ويشارك عدد من الفضلاء النابهين في درسه. كان مجمعاً للمواهب والذوق والذاكرة القوية. شهدنا فيه هذه الخصال المميزة. هو أحد الذين أنجبتهم هذه المنطقة.

وكان رفيقه ورفيق درسه المرحوم الحاج ميرزا أحمد البجنوردي المرتضوي. هذان الرجلان – ويبدو أنهما من أهل خراشاه – جاءا في بداية مشوارهما العلمي من بجنورد إلى مشهد، وشاركا في درس المرحوم آقا زاده والمرحوم الحاج حسين القمي. وكان والدي في ذلك الحين من الفضلاء في مشهد، وكان يعرفهما وعلى اتصال بهما، وكان يذكرهما بخير كثير. ثمّ توجّها إلى النجف. وبعد ذلك توجّه المرحوم والدنا إلى النجف هو الآخر، وكان في النجف أيضاً على اتصال بهما. وعاد الحاج ميرزا أحمد بعد أعوام إلى بجنورد، وكان في بجنورد رجل دين متصرّف قوي ذا شعبية ونفوذ في كل هذه المنطقة. مع أن نظام الحكم كان آنذاك سيئاً في علاقته مع علماء الدين، وإذا كان ثمة عالم دين متنفّذ يحاولون بكل وسيلة تحديد نفوذه، أو كسبه إلى صفوفهم، أو تقليم أظافر

نفوذه واقتداره، لكنهم لم يستطيعوا فعل ذلك مع المرحوم الحاج ميرزا أحمد. كان هنا عالم دينٍ محترماً جداً، وحين يأتي إلى مشهد – وكنت حينها طالب علم في مشهد – يكرّمه علماء الدين في مشهد ويذهبون لزيارته ويحترمونه.

وقبل هؤلاء كان هناك المرحوم الشيخ محمد تقي معروف بجنوردي، كان إمام جماعة محترماً مرموقاً في مسجد گوهر شاد بمدينة مشهد، ومشهوراً بالعبادة والزهد والعلم. وبالطبع، فقد عاش في القرن الماضي، وتوفي قبل نحو مائة عام. ولكن منذ ذلك الحين إلى ما قبل سنوات قليلة بقي بيت الشيخ محمد تقي في «بالا خيابان» بمشهد وفي زقاق يحمل اسمه «زقاق الشيخ» – وأهالي مشهد يعرفون زقاق الشيخ وبيت الشيخ تماماً – بقي بيته مكاناً لاجتماع الناس. أهم مجلس عزاء في عشرة محرم كان يقام في بيته حيث يقدّم الناس الكثير من النذور، وقد واصل ابنه المرحوم الشيخ المرتضى ــ من علماء مشهد ــ طريق والده، ثم جاء من بعده ابنه المرحوم الشيخ رضا، وقد التقينا بالشيخ رضا. وكان المرحوم الحاج ميرزا حسن علي مرواريد صهر الشيخ رضا. هؤلاء من المبرّزين في هذه المنطقة. نعم، ليسوا كثاراً من حيث العدد لكنهم بارزين وعلماء.

لقد شهدنا هذه المواهب حينما كنّا طلبة علوم دينية. قلت للأصدقاء: إننا حين كنا نشارك في درس الكفاية والمكاسب للمرحوم الشيخ هاشم القزويني، كان هناك طالب له موهبة وذكاء أعلى من كل الطلبة في ذلك الدرس، وكانوا قرابة مائتي شخص، وهو عدد كبير يومذاك، وهذه الأعداد ليست اليوم بكبيرة؛ بسبب نمو الحوزات العلمية، لكن مائتي طالب في درس واحد كان شيئاً كبيراً يومها. كان يُشْكِل في درس الكفاية ويفرض على الحاج الشيخ النقاش. وكان هذا الطالب من أهالي هذه المنطقة – يبدو أنه من منطقة آشخانه – واسمه كان الشيخ حسين كُرد. كان من أكراد هذه المنطقة. للأسف لم تكن مثل هذه المواهب لتعرف في ذلك الحين، وعندما تعرف لم تكن الظروف سانحة للاستفادة منها. لا أحد يسأل ماذا حلّ بالموهبة الفلانية وأين صار مصيرها، وإلى أين تابع الدراسة، وكم استطاع التأثير في تقدّم العلم؟ هكذا كان الوضع وقتئذٍ. ويجب أن لا يكون هكذا حالياً، وهو ليس كذلك.

من بين الشهداء من علماء الدين كنت أعرف شخصين معرفة قريبة. طبعاً، كان هناك طلبة علوم دينية شباب توجّهوا لجبهات القتال وجاهدوا واستشهدوا. وقد شاهدتُ أسماء هؤلاء، ولم أوفق

لمعرفتهم عن قرب، لكنني كنت على معرفة قريبة باثنين منهم: المرحوم الشيخ قاسم صادقي گرمه اي – وكان من أهالي گرمه – والمرحوم طيبي. كان المرحوم الحاج الشيخ قاسم صادقي يتباحث معي لسنوات طويلة، كنّا نتباحث في شرح اللمعة والمكاسب. وكان آية في الموهبة والذكاء، ولو قيض له أن يدرس ويواصل الدراسة لأصبح بلا شك عالماً كبيراً. ولكن لم يكن من الدارج حينذاك أن يسألوا طلبة العلوم الدينية: من أنت؟ وما أنت؟ وما تريد أن تفعل؟ وأن يرشدوه ويوجّهوه ويأخذوا بيده ويساعدوه في نفقات دراسته، ويوفروا له إمكانيات الدراسة. لم يكن شيء من هذا في ذلك الأوان. وانتقل هذا الشخص لينشغل بأعمال أخرى. طبعاً، في زمن الثورة أصبح هو والمرحوم طيبي من نواب مجلس الشورى الإسلامي، واستشهد مع اثنين وسبعين شهيداً في حادث مقر الحزب الجمهوري الإسلامي.

لاحظوا إذاً، هنا قطب من أقطاب الموهبة والذكاء، من بجنورد نفسها إلى المناطق المحيطة بها – اسفراين وشيروان وفاروج – ثم من هذا الجانب مدن أخرى توجد هنا، سواء المنطقة التي يسكنها الإخوة السنة أو المناطق التي يسكنها الشيعة.

وللإخوة السنة بدورهم حقهم. رجال الدين التركمن السنّة – وقد قلت هذا صباحاً – كان لهم دورهم في إماتة الفتنة التي أراد الشيوعيون إطلاقها في هذه المنطقة باسم التركمن. كنت أعرف عن قرب علماء متحفزين ومفكرين وأصحاب مبادرة، وقد مارس هؤلاء دورهم.

هنا منطقة يمكن أن تقوم فيها حوزة علمية كاملة ذات مستويات دراسية عليا بنوعية ومستوى جيد. يجب أن يأتي الأساتذة إلى هنا. ليس من المنطقي أن يهاجر طالب العلوم الدينية ــ حتماً ــ في فترة دراسته الأولى إلى الحوزات الكبرى ثم لا يعود، هذا غير ممكن. كان لنا في المدن في خراسان الكبرى علماء كبار، لقد زرت الكثير من هذه المدن، وكان يقيم فيها مجتهدون من الطراز الأول. كان في بيرجند إثنان من المجتهدين ــ لو كانا في النجف لصارا على الأغلب من مراجع التقليد ــ: المرحوم هامي والمرحوم الشيخ محمد حسين آيتي. بقي هذان الرجلان في بيرجند ليخدموا الناس هناك. ويأتي شخص مثل المرحوم نجفي قوچاني فيسكن قوچان وهو من تلامذة المرحوم الآخوند الخراساني البارزين. وفي بجنورد ذكرت أنه كان هناك المرحوم الحاج ميرزا أحمد المرتضوي، وكذا الحال في المدن الأخرى، إذ كان ثمة علماء كبار مبرّزون.

وقد يقول البعض: يا سيدي لم تكن الاتصالات والمواصلات سهلة بين المدن الكبيرة والمدن الصغيرة آنذاك، وكان العلماء مضطرين للمكوث في هذه الأماكن. هذا الاستدلال يؤتي نتائج عكسية. حين تكون الاتصالات والمواصلات سهلة اليوم فتقتنون حاسوباً وتستعملونه يمكنكم الاستفادة من أفضل دروس الحوزات الكبيرة وبشكل مباشر. إذاً، ينبغي عدم الذهاب للحوزات الكبيرة في الوقت الراهن وليس في ذلك الزمان. إذا كانت لديكم شبهة علمية تركبون السيارة وتقطعون الطريق إلى مدينة مشهد لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات لتلتقوا بعالم دين وتطرحون الشبهة معه وتعودون. واليوم مع توفر الإمكانيات يجب أن تزدهر الحوزات في المدن وتشهد نمواً كمياً ونوعياً.

مشروع الهجرة، الذي طرحته قبل سنوات، من شأنه أن ينمّي نشاط علماء الدين في كل أنحاء البلد. يجب أن يهاجروا من الحوزات العلمية الكبيرة إلى المدن سواء كانوا من أهالي هذه المدن أو من أهالي غيرها. وقد يكون عالم الدين في مدينة معينة ليس من أهاليها. المرحوم المحقق السبزواري – صاحب كتاب الذخيرة وصاحب الكفاية والمعروف بـ(الملا) وشيخ الإسلام الكبير كان في إصفهان على عهد الدولة الصفوية – ينتقل من إصفهان إلى مشهد فيسكن هناك. وقد كانت إصفهان في ذلك الحين أكبر مدن إيران، وكانت مشهد مدينة صغيرة تشبه قرية كبيرة. وهو الذي عمّر المدرسة الباقرية في مشهد التي شاهدها الطلبة القدماء في مشهد، وقد تهدّمت حالياً. كانوا يأتون ويبقون حتى في غير مدنهم. الشهيد المرحوم الميرزا مهدي ذو أصول إصفهانية، وهو أحد أربعة تلامذة بارزين للمرحوم الوحيد البهبهاني – وله أربعة تلامذة اسمهم مهدي، ويسمّونهم المهادي الأربعة – جاء إلى مشهد واستشهد فيها. وطوال هذه الأعوام كان في أعقابه علماء كبار. وما الإشكال حتى لو لم يكن من أهالي تلك المنطقة لكنه يسكنها؟ ناهيك عن أن يكون من أهاليها.

ليجتمع الفضلاء البجنورديون الساكنون في مشهد وقم ويختاروا من بينهم عشرة أشخاص يبعثونهم إلى هنا، ويكون من واجب الحوزة العلمية أن توفر إمكانيات لانتقالهم إلى هنا واشتغالهم بالتدريس. يقال إنه يجري التدريس إلى السطح العاشر. ليدرّسوا أعلى من ذلك وليدرّسوا البحث الخارج. نعم، طالب العلوم الدينية الذي درس هنا البحث الخارج وصار قريباً من الاجتهاد لا مانع بل من الجيد أن يذهب إلى حوزة أخرى كحوزة قم أو حوزة مشهد مثلاً

ويحضر هناك ثم يعود إلى هنا. أتعلمون ما الذي يحدث حينما يتواجد رجل دين عالم عميق في هذا الزمن – وهو زمن الفكر والثقافة واتساع الأفكار الجديدة في كل العالم الإسلامي – في مثل هذه المدينة وبهذه الصورة؟

في هذه المدينة أو المحافظة حالياً قرابة الأربعين ألف طالب جامعي. كم من هؤلاء الأربعين ألف طالب جامعي على اتصال بكم أنتم طلبة العلوم الدينية؟ مع كم واحد منهم تجلسون وتجتمعون وتتحدثون؟ بعضكم قد يُدعى إلى مجامعهم ومحافلهم فيشارك فيها، وقد يكون هناك خمسون شخصاً أو مائة شخص تتحدثون لهم. ليست هذه هي المسألة. ينبغي أن تتحدثوا بالمشافهة وتبنوا شخصيات الطرف المقابل، وهذا بحاجة إلى زمن وعمل وثقافة وعلم كافيين، وهو بحاجة إلى ملاحظة الاحتياجات الفكرية والثقافية، وبحاجة إلى الحب والعشق. هذا شيء يجب أن يحصل.

طيب، عددكم والحمد لله كبير – سواء السيدات أو السادة – وهذا ما يشاهده المرء هنا. يجب أن تدرسوا وتُدرِّسوا جيداً وتصبحوا علماء وفضلاء أقوياء متمكنين وتكتسبوا القدرة على تحليل الأفكار. ويجب أن تكون لكم مطالعاتكم وقراءاتكم الجانبية. بعض هذه الدروس الدارجة في الحوزات في ــ قم أو طهران ــ يمكن أن تستخدم كمطالعات جانبية، من قبيل الأدب الفارسي، والأخلاق وبعض الدروس الأخرى – وبالطبع فإن الأدب العربي لازم، فهو من أدوات عملنا – ولا ضرورة لإدراجها في المواد الدراسية. أنا طبعاً لا أتدخّل، إنما أطرح ذوقي، وليجتمع المخططون ويفكروا في الأمر.

يجب أن لا يقع الكتاب من يد طالب العلوم الدينية. يجب أن يقرأ الكتب، ويقرأ أنواعاً من الكتب، وفي فترة شبابه. مخزن الذاكرة الذي يتسع لما لا نهاية له من المعلومات يجب أن تملؤوه في فترة شبابكم بأكبر قدر ممكن من المعلومات. كل ما خزّناه في ذاكرتنا خلال فترة شبابنا موجود حاضر اليوم، وكل ما اكتسبناه في فترة الشيخوخة – وأنا الآن رغم كل مشاغلي أقرأ أكثر من الشباب – لا يبقى في الذاكرة. وأنتم الآن شباب، فخزّنوا ما استطاعتم من هذه الينابيع الثمينة والمعلومات القيمة والمعارف المفيدة في شتى المجالات التي تحتاجونها للتبليغ، وسوف تستفيدون منها.

ما هو ضروري أن أذكره وهو أهم من كل النقاط الأخرى، يتعلق بعلاقة الحوزات العلمية بالثورة والنظام الإسلامي. ما من شخص في عالَم رجال الدين إذا جعل الإنصاف والعقل ميزانه، يستطيع أن يرى نفسه منفصلاً عن النظام الإسلامي. وفّر النظام الإسلامي إمكانيات عظيمة وفرص هائلة للدعاة إلى الله والمبلغين الإسلاميين. متى توفّرت لكم مثل هذه الفرص والإمكانيات؟ في الوقت الحاضر يتحدث طالب علوم دينية فاضل في التلفزيون لنصف ساعة ويستمع له عشرة ملايين أو عشرون مليون شخص عن حبّ ورغبة. متى توفرت لي ولكم مثل هذه الإمكانية طوال تاريخ علماء الدين من أول الإسلام إلى اليوم؟ متى كانت هذه التجمّعات الكبيرة موجودة؟ متى كانت صلوات الجمعة هذه تقام بهذا الشكل؟ متى كان كل هؤلاء الشباب المتشوّقون المتعطشون للمعارف الإسلامية؟ ترون اليوم هؤلاء الشباب من الطلبة الجامعيين وغير الطلبة الجامعيين – وأتحدّث الآن عن الطلبة الجامعيين – كلهم تقريباً وعلى الأغلب مشتاقون للمفاهيم والمعارف الإسلامية، ويريدون معرفة بعض الأشياء، وفهم بعض الأمور. يجب علينا، أنا وأنتم، أن نوفر الأرضية، لنستطيع تلبية احتياجاتهم. متى توفرت مثل هذه الفرصة لعلماء الدين قبل اليوم؟ بالإضافة إلى ذلك، تتوفر لكم اليوم أدوات مساعدة من قبيل الحاسوب، والاتصالات الأنترنتية والفضاء المجازي والسايبري. إذا استطعتم إتقان العمل بهذه الأدوات واستطعتم إيصال كلامكم الصحيح لآلاف المستمعين الذين لا تعرفونهم، لكانت هذه فرصة استثنائية، فحذار من أن تضيعوها. وإذا ضاعت فسوف يحاسبنا الله تعالى عليها، أنا وأنتم، يوم القيامة: ما الذي استفدتموه من فرص كل هؤلاء الشباب، وكل هذا التعطش والشوق والميل للمعرفة، من أجل إشاعة وترويج المعارف الإسلامية؟ قدّم النظام الإسلامي مثل هذه الخدمة للمعمّمين ورجال الدين. فهل نستطيع أن ننتبذ جانباً ونترك الأمور؟

أن يلملم رجل في زاوية من الزوايا عباءته ويقول لا شأن لي بأمور البلاد والنظام فليس هذا فخر، إنما هو عار. على عالم الدين أن يرحّب بكل كيانه بمثل هذا النظام الذي يرفع راية الإسلام، ويتخذ من الفقه الإسلامي قانوناً له. قال لي عدد من مراجع التقليد مراراً: إننا نرى إضعاف هذا النظام بأي شكل من الأشكال حراماً قطعياً. وكثير منهم يتلطفون فيرسلون لي رسائل أو يقولون إننا ندعو لك دائماً. هذا مؤشر معرفة قدر النظام الإسلامي. ويأتي معمّم في زاوية من الزوايا ويعزل نفسه عن النظام بذريعة إن لدينا النقد الفلاني أو المؤاخذة الفلانية. لا بأس، ليكن لك مائة مؤاخذة، وهناك مائتا مؤاخذة ترد علينا نحن المعمّمين. ألا ترد علينا

انتقادات ومؤاخذات؟ وهل يقتضي وجود النقد والعيوب في منظومة معينة أن لا يرى المرء كل هذه الحسنات ونقاط القوة فيها ولا يأخذها بنظر الاعتبار؟ وكذا الحال في علماء الدين. ثمة عيوب إلى ما شاء الله. إنني رجل دين وطالب علوم دينية، وكنت طالب علوم دينية منذ ما قبل البلوغ إلى اليوم، واستطيع أن أكتب لكم لائحة من الإشكالات عن ظهر غيب. ثمة فينا مائة إشكال، ولكن هل تقتضي هذه الإشكالات المائة أن نعرض عن علماء الدين؟ أبداً. ثمة ألف حسنة مقابل هذه الإشكالات المائة. يستطيع المرء أن يجد الخط المستقيم في مضاربة المصالح والمفاسد.

على الحوزات العلمية أن ترى نفسها جنوداً للنظام، وتعمل للنظام، وتخلص للنظام، وتعمل لخدمة تقوية النظام. وهذا على الضدّ تماماً مما تريده سياسات الأجهزة الأمنية البريطانية والأمريكية والإسرائيلية وغيرهم. أولئك يسعون عسى أن يستطيعوا العثور على منفذ. رجل دين في زاوية معينة يتكلم بكلام يبدو أنه في ظاهره بخلاف الإرادة والفهم والعقيدة الكلية للنظام، فيضخّمونه، وإذا كان القائل إنساناً صغيراً يضخّمونه ويخلقون له صورة مكبّرة: من أجل أن يبرزوا بوناً بين النظام وعلماء الدين، ويوحوا بوجود مثل هذا البون. وعليه فالحوزات العلمية لا يمكنها أن تكون علمانية. وإنها لعلمانية أن يقال: لا شأن لنا بقضايا النظام وقضايا الحكم.

وليس معنى كلامي هذا أن يأتي الجميع منذ اليوم الأول ويعملوا في مشاغل النظام ومواقعه، لا، يجب أن تدرسوا. لقد كنت في غمرة الكفاح والنضال منذ أوان النضال، وفي مشهد كنت أدرّس المكاسب والكفاية. الكثير من تلامذتنا كانوا منخرطين في صفوف الكفاح. ومن شدة ما ينهمكون في العمل النضالي يلوح لهم أنه ما الفائدة من كلام المكاسب وبراهين الكفاية؟ وكنت أقول لهم مراراً: يجب أن يكون لكم أرصدتكم فمن لا رصيد له لا شأن له. إذا كنتم أصحاب أرصدة ستستطيعون عندها القيام بهذه الحركة العظيمة في موقع ومنصب مثل موقع الإمام الخميني الجليل.

النظام الإسلامي مرتبط ومتصل بعلماء الدين، وهو توأم علماء الدين. اعلموا أنه لو لا علماء الدين ما كان لهذا النظام أن يقوم ويتأسّس، وما كان لهذه الثورة أن تنتصر. كنت في الأوساط المثقفة منذ فترات ما قبل الثورة، وكانت لي صلاتي القريبة بالجماعات السياسية وأعرفها كلها، وكانت لي مع الكثيرين منهم نقاشاتي ومجادلاتي. أقول هذا عن عقيدة ودليل: لو لا علماء الدين

لما انتصرت هذه الثورة، ولما انتصرت حتى بعد مائة سنة. مثقفونا السياسيون وبعضهم أناس صالحون مخلصون – لم يكونوا كلهم أناساً منحرفين ضالين – لم يكونوا قادرين، ولم يكونوا يتمتعون بالشعبية والقبول العام، والنفوذ بين الجماهير والسيادة على قلوب الناس. الذي كان يستطيع أن يشمل كل البلاد، وينفذ من حيث العمق والتأثير إلى أعماق القلوب هم علماء الدين، الذين كانوا في كل مكان.

ذات مرة في بداية الثورة قرأت الآية الشريفة من سورة النحل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأوحى ربّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربّك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» (1)، وقلت: إن طلبة العلوم الدينية الشباب عملوا كالنحل فحطّوا على زهور معارف كلمات الإمام الخميني، وارتشفوا وانتهلوا منها، ثم ساحوا في كل أرجاء البلاد، وغذّوا الناس بالعسل، ولذعوا الأعداء بالإبر.. كانوا يحملون العسل والإبر اللاذعة إلى جانب بعضهما. وهذا ما لم يكن تقدر عليه أية جماعة، أو أي حزب، أو أية فئة أخرى غير علماء الدين. ولو لم يحدث هذا لما قامت هذه الثورة الاجتماعية، الثورة التي ترفع فيها شعارات في طهران خلال يوم عاشوراء فترفع نفس الشعارات في قرية صغيرة في محافظة من المحافظات البعيدة أثناء مظاهرات الناس هناك، ويكون الكلام فيها نفس الكلام، والإرادة والمطاليب نفس الإرادة والمطاليب. هذه هي الثورة الاجتماعية التي أثمرت سقوط ذلك الحكم وتأسيس هذا النظام. استقامة هذا النظام ومتانته وتجذّره بالنحو الذي سيبقى قائماً بتوفيق من الله إلى قرون من الزمن.

والمباني الفكرية أيضاً كانت مما أعدّه علماء الدين، من قبيل الشهيد مطهري، والعلامة الطباطبائي وغيرهما.. أعدّوا المباني الفكرية المتينة. إنها البنى التحتية الفكرية التي يمكن على أساسها التفكير والتربية والإعداد، والنشر والترويج، وتفريع الفروع، والاستجابة للاحتياجات الفكرية الراهنة للشباب. الكلام القاطع الذي استطاع في بلادنا تفتيت الأفكار الماركسية وتنفيشها كالقطن، وذروها في الرياح هي اطروحات المرحوم مطهري تلميذ العلامة الطباطبائي، وآخرين من تلامذة المرحوم العلامة الطباطبائي. قام هذا النظام على مثل هذه الأرضية.

وبالتالي فإن الواجب جسيم وثقيل، والعمل كثير. واجباتكم كثيرة جداً. عليكم أن تبنوا أنفسكم من الناحية المعنوية. سواء من الناحية الأخلاقية، أو من حيث التهذيب، أو من حيث

التدين، أو من حيث الالتزام والتقيد بالفرائض والنوافل وتلاوة القرآن الكريم. وكم كانت تلاوة هذا الطالب العزيز جيدة، والآيات المختارة أيضاً: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً» (2). إذا كنا ممن يرجو الله واليوم الآخر فأسوتنا هو الرسول الأكرم (ص). لا أننا نعمل مثله – فهذا محال – إنما يجب مواصلة دربه. ثم يتجلى في الآية التالية موقف المؤمنين بالرسول الأكرم: «ولّما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» (3). هجموا على المؤمنين في معركة الأحزاب من كل صوب. وفي معركة بدر كان المهاجمون جماعة واحدة. وفي معركة أحد كانوا جماعة واحدة. وفي الحروب الأخرى كان الجانب الآخر قبائل صغيرة، أما في حرب الأحزاب فاتحدت كل القبائل المشركة في مكة وغير مكة وثقيف وغيرها، وأعدّوا عشرة آلاف من القوات المقاتلة، واليهود الذين كانوا جيران الرسول الأكرم (ص) وأصحاب أمان من الرسول خانوه وتعاونوا مع المشركين. ولو أردنا أن نقارن ذلك بالوقت الراهن لقلنا: إن أمريكا كانت تقاتلهم وبريطانيا والكيان الصهيوني، وفلان وفلان من الأنظمة النفطية الرجعية. جمّعوا أموالهم وطاقاتهم وقواهم وشنوا معركة الأحزاب التي أرعبت القلوب كثيراً. ويقول تعالى في بدايات هذه السورة: «وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا» (4).. كانوا يخيفون الناس، وكذا الحال اليوم أيضاً. الآن أيضاً ثمة من يخوّف الناس ويقول: وهل من المزاح مواجهة أمريكا؟ سوف تنزل بكم الويلات! تلك حربها العسكرية، وهذا حظرها، وهذه أنشطتها الإعلامية والسياسية.

ويقول تعالى في آخر هذه السورة: «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم» (5). هؤلاء هم المرجفون. في مثل هذه الظروف يكون موقف المؤمن ووضعه كالتالي: «هذا ما وعدنا الله ورسوله». إننا لا نتعجّب فقد قال لنا الله ورسوله إنكم إذا التزمتم بالتوحيد والإيمان بالله ورسوله فسيكون لكم أعداء يزحفون إليكم. نعم، كانا قد قالا، وقد تبين أن قولهما حق، ووجدناه حقاً فجاءتنا الأحزاب. «وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً». تضاعف إيمانهم. والمنافقون وضعفاء الإيمان والذين في قلوبهم مرض – وهم طوائف متنوّعة – حينما يشاهدون الأعداء ترتعد أبدانهم كالسعفات فينبرون يعاتبون المؤمنين بالله والمجاهدين في سبيل الله ويؤذونهم ويضغطون عليهم: لماذا تفعلون هذا؟ لماذا لا تتنازلون؟ لماذا لا تتخذون هذه السياسة وتلك؟ يفعلون ما يريده العدو. ولكن من جانب آخر يقول المؤمنون

الصادقون: إننا لا نستغرب، فمن الطبيعي أن يمارس الأعداء عداءهم.. «هذا ما وعدنا الله ورسوله».

وقال في موضع: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» (6). ما لم تلقوا حبالهم في أعناقكم ليأخذوكم وراءهم أين ما شاءوا فتكونوا تابعين لهم ستبقي هذه الحال ولا تتغير. فقوّ نفسك حتى لا تؤثر حبالهم في عنقك، وإذا وثبت وانتفضت فسوف تقطع حبالهم. قوّ نفسك. لماذا تضعّف نفسك لتستسلم بعد ذلك وتصاب بالذلّ والسقوط؟ «وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً». هكذا كونوا يا أعزائي وأبنائي يا طلبة العلوم الدينية الشباب. اطلبوا العلم بنوايا صادقة، وبقصد أن تكونوا من المبرّزين في الصفوف الأمامية في هذه الساحة العظيمة.

أوصي بأن لا تنسوا ولا تتركوا المراكز الثقافية – الفنية في المساجد. طبعاً، بالتعاون مع التعبئة. من السيئ أن تحدث خلافات بين عالم الدين في المسجد والتعبئة في ذلك المسجد.. لا، بالتعاون مع التعبئة اجعلوا هذه المراكز الثقافية – الفنية في المساجد مؤثرة واعملوا لها. فكروا وطالعوا وأعدّوا كلاماً يناسب احتياجات ذلك الشاب المتواجد في تلك المراكز. طالعوا واقرأوا. ثمة كتب يمكن الاستفادة منها. ثمة كتب فاسألوا وحققوا وابحثوا مع أصحاب الخبرة. جهزوا أنفسكم وتسلحوا بسلاح المعرفة والاستدلال، ثم اقصدوا هذه المراكز الثقافية – الفنية واستقبلوا الشباب ورحّبوا بهم بوجوه بشوشة وسماحة ومداراة. قال: «وسنّة من نبيه» والظاهر أنها عبارة عن «مداراة الناس». قد يكون ظاهر الشخص المقابل غير مناسب.. فليكن. بعض الذين شاركوا في استقبال اليوم، وأثنيتم عليهم أنتم – سواء حضرة السيد مهمان نواز أو سائر السادة – من هذا المنبر والمنصة، كنّ سيدات يقال عنهن في العرف الدارج «سيدات سيئات الحجاب» وكانت الدموع تنهمر من عيونهن. فماذا نفعل؟ هل تطردوهنّ؟ وهل في هذا مصلحة؟ وهل هذا بحق؟ لا، القلب ينتمي لهذه الجبهة والروح والهة بهذه الأهداف والمبادئ. إن فيهن نقصاً. فهل أخلو أنا من النقص؟ نقصهنّ ظاهر، ونواقصي أنا باطنة لا ترى. يقول الشاعر: «قال: نعم يا شيخ أنا كل ما تقوله، فهل أنت كما تظهر وتبدي؟» نحن أيضاً لدينا نواقصنا، وهنّ أيضاً لهن نواقصهن. تعاملوا بهذه النظرة وهذه الروح. وبالطبع فإن الإنسان ينهى عن المنكر بلسان طيب، وليس بتأجيج الكراهية والنفور. وبالتالي عليكم التواصل مع شريحة الطلبة الجامعيين.

ذكر السيد فرجام تنبيهاً جيداً بخصوص زيّ علماء الدين. ليرتدي الذين يتقدّمون في الدروس ــ بمقدار معين ــ زيّ علماء الدين، ولكن ليعلموا أن ارتداء زي طلبة العلوم الدينية يستتبع أعباء ثقيلة. هذه العمامة الخفيفة التي تضعها على رأسك ثقيلة جداً. بمجرد أن يروا أنك ترتدي العمّة تنهال سيول الأسئلة والإشكالات وما إلى ذلك. إذا قلت عن الشيء الذي لا تعلمه إنك لا تعلمه، ثم ذهبت وحققت وعلمت وربما عدت وأخبرت السائل بالجواب، فهذا حسن. ولكن إذا أجبت إجابة خاطئة عن شيء لا تعلمه، أو أنك غضبت لأنك لا تعلمه واعترضت على أن يسألوا هذا منك، فهذا ليس بحسن. إذا تقرّر أن يكون المعمّم هكذا فالأفضل أن لا يكون معمّماً.

احترموا إمامة الجماعة في المساجد وأعيروها الأهمية اللازمة. إمامة المساجد مهمة جداً بالنسبة للجديرين بها. بعد كل صلاة، أو بعد صلاة واحدة كل يوم، تحدثوا مع الناس واشرحوا لهم الأفكار اللازمة. أنيروا القلوب بذكر حقائق الدين ومناقب الأئمة (عليهم السلام)، وسوف تستنير القلوب.

طيب، لقد طال كلامنا بعض الشيء. نتمنى أن يحفظ الله تعالى بركات وجود حضرة السيد مهمان نواز لهذه المنطقة. في اللقاءات التي كانت لنا معه أحياناً كان يتحدث كراراً عن المجيء إلى بجنورد، وقلنا له: على العين «الأمور مرهونة بأوقاتها»، وقد حان وقتها. بقي في بجنورد وحسن جداً ما فعل، فهو بركة لهذه المدينة، له واجباته ووظائفه، وإمام الجمعة المحترم والحمد لله يشعر المرء أنه حسن البيان وحسن التفكير وقدير على العمل، ويعمل بواجبات إمامة الجمعة على أحسن نحو إن شاء الله. هذه من الحالات التي أتمناها أن لا نخسر شيئاً ونكسب إلى جانب ذلك شيئاً. لم تخسر بجنورد والحمد لله السيد مهمان نواز، ولا تزال بركاته والرجوع إليه كما في السابق، وجاءنا شيء إضافي هو إمام الجمعة المحترم.

اللهم اجعل ما نفعل وما نقول وما في نوايانا لك وفي سبيلك، وتقبله منا بكرمك وفضلك. اللهم ارضِ القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر عنا، واشملنا بأدعيته. ربنا اجعل هذه الجماعة الحاضرة وسائر الفضلاء وطلبة العلوم الدينية وعلماء الدين العاملين في هذه المنطقة الكبيرة، اجعلهم جميعاً جنوداً حقيقيين للإسلام والقرآن. الألفة والأنس الشائع اليوم بين الإخوة الشيعة والسنّة في هذه المنطقة زد فيهما يوماً بعد يوم، واهدهم جميعاً لسبيل الخير والصلاح وهداية الأمة.

والسّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

---

1 – سورة النحل، الآيتان 68 و69 .

2 – سورة الأحزاب، الآية 21 .

3 – سورة الأحزاب، الآية 22 .

4 – سورة الأحزاب، الآية 13 .

5 – سورة الأحزاب، الآية 60 .

6 – سورة البقرة ، الآية 120 .